قال تعالى :

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ
فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا

التصريح بما تواتر في نزول المسيح

لإمام العصر المحدث الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي

ولد ١٢٩٢ وتوفي ١٣٥٢ هـ
رحمه الله تعالى

رتبه تلميذه العلامة المحقق البارع الشيخ محمد شفيع
مفتي باكستان رحمه الله تعالى

تحدث هذا الكتاب عن كثير من علامات الساعة الكبرى مشروحة موضحة وخاصة نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة والدخان . . .
فجدير بكل مؤمن ومؤمنة أن يعلمها ليزداد بها بصيرة وإيماناً

حققه وراجع نصوصه وعلق عليه
عبد الفتاح أبو غدة

الناشر

مكتبة دار العلوم كراتشي

الطبع الجدید .....رجب المرجب ۱۴۳۰ھ

ملتزم الطبع .....محمد قاسم گلگتی

ویطلب ایضاً من

- مکتبہ دارالعلوم کراتشی

021-5042280
021-5049455

mdukhi@cyber.net.pk

- مکتبہ معارف القرآن جامعہ دارالعلوم کراتشی
- ادارۃ المعارف جامعہ دارالعلوم کراتشی
- دارالاشاعت اردو بازار کراتشی
- ادارہ اسلامیات اُردو بازار کراتشی
- بیت القرآن اردو بازار کراتشی
- بیت الکتب بالمقابل اشرف المدارس گلشن اقبال کراتشی
- ادارہ اسلامیات ۱۹۰ انارکلی لاہور

أربع آيات من كتاب الله تعالى
في نزول عيسى عليه السلام

١ ـ ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾. من سورة آل عمران: ٤٥ ـ ٤٦.

٢ ـ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾. من سورة المائدة: ١١٠.

٣ ـ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾.

من سورة النساء: ١٥٧ ـ ١٥٩.

٤ ـ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

من سورة الزخرف: ٥٧ و ٥٩ و ٦١.

انظر تفسير الآية الأولى والثانية في ص ٢٩١، وتفسير الآية الثالثة في ص ٩٣ و ٢٧٩ ـ ٢٨٧، وتفسير الآية الرابعة وبيان قراءتها في ص ٢٨٩ ـ ٢٩١.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فهذه تقدمة للطبعة الثالثة من كتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للإمام المحدِّث الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي، رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة والرضوان في دار كرامته.

وقد دعاه إلى تأليف هذا الكتاب في حينه، الردُّ على الفرقةِ الضالّة: (القاديانية)، وكشفُ كفرِها وخروجِها عن المِلّة والدين، كما هو مشروح في مقدمة هذا الكتاب، بقلم تلميذ المؤلف شيخنا العلامة المحقق المحدِّث محمد شفيع مفتي باكستان رحمه الله تعالى.

ولما حقَّقتُ هذا الكتاب ــ بعون الله تعالى وفضله ــ، وقمتُ بخدمته وطبعِه منذ خمس عشرة سنة على الوجه الذي يراه القارىء، لَقِيَ من القبول والرضا والاستحسان ما لم أكن أتوقعه، ونَفَع الله به خلقاً كثيراً، وأنار به حُكماً كان مغموراً، وأفاد أناساً كباراً من عِلْيَةِ أهل العلم والفقه في هذا العصر، كانوا ينظرون إلى هذه المسألة بالاستضعاف ولِين الثبوت، فلما وقفوا على هذا الكتاب وقرأوه، تحوَّلوا ــ بفضل الله تعالى ثم بفضل هذا الكتاب ــ إلى الاعتقاد الحق فيها، وأنها من الأمور الثابتة المتواترة تواتراً معنوياً لا ريب فيها.

فأزال هذا الكتابُ ــ بفضل الله وكرمه ــ غموضَ هذه المسألة من نفوس كثير من أهل العلم، وأبدلهم بالغموض فيها وضوحاً، وبالتردُّد يقيناً، وبالتوقف جزماً، وبالاستضعاف لها دفاعاً عنها، فالحمد لله على فضل الله.

أما نفعُهُ للعامة والخاصة من طلبة العلم وراغبيه، فقد كان واسعاً وكثيراً، إذ وجدوه قد جَمَع لهم نصوصَ هذه المسألة خيرَ جَمْع، وضَبَطها، وحقّقها، وشَرَحها، وجلّى معانيها والمرادَ بها خيرَ تجلية، بحيث يَفهمها العالم والمتعلم والرجل والمرأة، على وجه تطمئن به القلوب، وتستقر فيه العقيدةُ المتوارثةُ من السلف إلى الخلف على أنصع يقين، وبحيث يُدفَعُ القارئُ النافرُ عن الجادة في هذه المسألة، إلى الرجوع إليها والإذعانِ لها كما هو الحق.

وصَدَرتْ الطبعة الأولى منه بحلب سنة ١٣٨٥، وقدَّر الله تعالى لها النفاد في وقت قصير، واشتد الطلبُ على الكتاب من جهات شتى، من الهند وباكستان ومصر واليمن والشام وغيرها من بلاد الإسلام، ولم أمِل إلى طبعه كما هو، بُغيةَ أن أُضيف إليه إضافات، وأزيد فيه زيادات، تجمّعتْ لديَّ بعد طبعه، تزدادُ بها محاسنُ الكتاب وفوائدُه، ولكن لم أتمكن من ذلك لأسباب قاهرة.

ولما قام علماء الإسلام في باكستان قومتَهم الحميدة، منذ خمس سنوات، لعزلِ (الفِرقة القاديانية) عن الإسلام شرعاً وقانوناً هناك، رأوا من خير ما يساعدهم في هذه الحَمْلَة الصعبة الشاقة، للتغلب على هذه الفِرقة وكشفِ كفرها ومروقِها من الإسلام: طبعَ هذا الكتاب، فصوَّرَتْه «جمعية تحفُّظِ خَتْم النبوَّة في باكستان»، التي كان رئيسَها شيخُنا العلامة المحدِّث الفقيه المجاهد الكبير محمد يوسف البنوري رحمه الله تعالى، وطَبَعَتْه بكمياتٍ كبيرة، ووزَّعته على العلماء والمتعلمين والمثقفين هناك، فأعطى أطيبَ الثمرات، وكتَبَ الله النصر للعلماء على (القاديانية)، فعُزِلَتْ عن الإسلام، واعتُبرت طائفةً من الطوائف غير المسلمة في الجمهورية الإسلامية الباكستانية.

وتتابع عليَّ الطلبُ بطبعه من غير جهة، من البلاد العربية وغيرها، وكنتُ أُرجئُ طبعَه على أمل أن أتمكن من إعادة طبعِه وصَفِّه من جديد، لأُدخِل (الإضافات والمستدركات) فيه إلى مواضعها، ولكن ظروف الطباعة القاسية اليوم لم تمكني من هذا الذي أرغبه، فطبعتُ الكتاب تصويراً كما هو في طبعته الأولى، وقدَّمتُ له بهذه المقدمة، مع كلمةٍ موجهةٍ إلى المتواكلين القاعدين عن الجِدّ والعمل

لنصرة الإسلام ودفعِ قوى الباطل، استسلاماً، وانتظاراً منهم لنزول عيسى عليه السلام.

واستدركتُ تصحيحَ الأخطاء المطبعية الطفيفة التي وقعَتْ فيه، وتداركتُ (الإضافات والاستدراكات) التي تجمَّعتْ لدي، فجعلتُها في آخر الكتاب من هذه الطبعة، مع الإشارة إلى مواضعها من صفحات الكتاب وسطوره، ووضعتُ نجمةً في داخل الكتاب، على الكلمة أو الجملة التي عليها استدراك، أو فيها إضافة، ليعود القارىء إليها في آخر الكتاب، سوى استدراكين كانا في الطبعة الأولى في آخرها، فوضعتُ على موضعهما من داخل الكتاب نجمتين، إشارةً إلى أنهما في استدراك الطبعة الأولى ص ٣٥٠.

فإذا لاحظ القارىء فوق الكلمة نجمةً، فإنها تشير أن في الاستدراك بآخر الكتاب إضافةً عليها، أو تعديلاً لجملتها أو ما يتعلّقُ بها، وأغلبُ هذه الاستدراكات والإضافات، تهمُّ طُلاَّب العلم والمتخصصين، أما القارىء المثقف فهي تزيده فائدةً ومعرفة، ولا تَنقصُهُ علماً إذا أغفلها في الغالب.

وأسأل الله تعالى أن يَنفع بهذا الكتاب قارئيه، ويُزيلَ به الشكوكَ والغُموضَ من صدور المؤمنين الضعفاء الحائرين، ويُكرمَني بصالح دعواتِ من يَنتفعُ به، ويَدَّخِرَ لي ثوابَ خدمتي له وعنايتي به عندَه. ﴿يومَ لا يَنفعُ مالٌ ولا بنون إلاَّ مَنْ أتى اللَّهَ بقلبٍ سليم﴾. والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

وكتبه

في الرياض ١٦ من رمضان المبارك ١٣٩٩ — عبدالفتاح أبو غدة

كلمة إلى المتواكلين القاعدين عن العمل الجِدِّي لنصرة الإسلام استسلاماً، وانتظاراً منهم لنزول عيسى عليه السلام.

تعرَّض هذا الكتاب إلى جملةٍ من العلامات التي تتقدم (الساعة)، وتَسبِقُ انتهاءَ الحياة الدنيا، وهناك فكرة شائعة لدى عدد من عوامِّ المسلمين، وهي أنهم يتخذون من إخبار الرسول ﷺ بهذه العلامات، مُتَّكأً لهم في تركِ العمل الجِدِّي إلى إعادة الحياة الإسلامية الصحيحة، وقد ربطوا بعلامات الساعة أمراً لا صلة له بها!

وهو أن العمل الآن لا يُجدي، لأنه لا بد أن يزداد الفساد، وينتشر الضلال، وتأتي الخوارق التي تتقدم الساعة، من ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام. . . ، وحينئذ يعود الإسلام وينتصر الدين، وينتشر الحق، ويقوى أهله، ويسودُ الحكمُ بالإسلام على وجهه، فلا جدوى الآن من مقاومة الباطل وأهله مهما حاول الإنسان المسلم!

وهذه الفكرة الضالّة الخبيثة ــ وقد تكون دخيلةً على المسلمين بمخارز أعدائهم الناعمة ــ : أَسقَطَتْ السعيَ الجِديَّ الواجب، والوعيَ الإسلامي الصحيحَ، عند هؤلاء الجاهلين ومن يدور في فَلَكِهم من المسلمين المغفلين! فقد أثَّرتْ فيهم تأثيراً سَلْبياً، وأحبطت منهم العملَ الجِدِّيَّ والسعيَ المتواصلَ لإعادةِ الحياة الإسلامية.

وكثيراً ما خَدَع هؤلاء الجاهلون الأغرارُ من المسلمين: أشباهَهم، بقولهم لهم: إن العالَمَ قد اقترب من نهايته، وإن الأحاديث النبوية تدل على استمرار التدهور في شأن الإسلام والمسلمين، ولما كان الأمر هكذا، كان لا جَدوَى من

السعي لعمل شيء في وقف هذا التيار الفاسد، ومنع هـذا الانحدار، إذ هـو أمر قدَّره الله تعالى، وبلّغه رسولُه ﷺ، ولا بد أنه واقع، فما علينا إلَّا التسليم والسكون حتى يأتيَ أمرُ الله الذي لا مَفَرَّ منه.

وهذه الفكرة الخاطئة الزائفة، تجب معـالجتُها في نفـوس المصابين بهـا، لـدفع هـذا التأثيـر السلبـي، الذي أثّـرته في إرادة هؤلاء المسلمين الشعـوريـةِ، والـلاشعوريـة، فإن هـذا الاعتقاد البـاطل يُعيق الحـركـة الإسـلاميـة من داخـل المسلمين، فضلاً عن المعوِّقات التي تُنثَر في طريقها من خارجهم.

ولو كانت هذه الفكرة صحيحة سليمة ثـابتة، لمـا كان الجهـدُ والجهاد من السلف في دفع كل زيغ وانحراف، من أي مبطل كان: أجنبياً أو عربياً، مسلماً في الصورة أو كافراً، لأننا إذا مشينا في ظل هذا الفكر الزائغ، لَزِمَنا أن نستسلم لكل ما يواجهنا من صعوبات وتحديات، في مختلِف الشؤون والمستويات! وهذا أمـر لا يقول به عاقل، فضلاً أن يكون الشرع الإسلامي أراده منا، وحاشا شَرْعَ الله من أن يُضاف إليه ذلك.

فلماذا يَسعى هؤلاء الجاهلون المصابون بهذه الفكرة المريضة، في تنميـة أمـوالهم وأحوالهم، وتحسين عيشهم ومسكنهم، ومـا إلى ذلك من أمـور الـدنيـا ومرافق الحياة؟ فإذا جاءوا إلى أمور الدين والجهاد لَبِسَتهم هذه الفكرة الشيطانية، فضَلُّوا وتخاذلوا عن نصرة دينهم، فأين عقلهم وفهمهم من صريح قول النبـي ﷺ: «الجهادُ ماضٍ إلى يوم القيامة»، وأمثالِه من الأحاديث الصحيحة الكثيرة، وقد عَلِمَ العالمون البصراء أن سنة الله في عباده: الجهدُ والجهاد، والأخذُ بالأسباب، كما هو بَدَهي عند كل مسلم فاقهٍ لدينه وإسلامه.

فتركُ الجهدِ والعملِ في نصرة الدين والإسلام جريمة، وتركُ دفع المبطلين والظالمين والكافرين المستولين على المسلمين ــ بسبب هـذا الاعتقاد البـاطل ــ جريمةٌ فوق جريمـة، ومصيبةٌ عـظيمة أُصيب بهـا عقلُ المـرضى بهذا الاعتقـاد، ويجب الإسراعُ بعلاجهم وإنقاذهم من هذا الداء الوبيل!

وما أحسن قولَ الإمام الفقيه الكبير، والعالم العامل الصوفي البصير، الشيخ عبد القادر الجِيلاني البغدادي الشهير: ليس الرجلُ الذي يُسَلِّمُ ـ أي يَستسلِمُ ـ للأقدار، وإنما الرجلُ الذي يَدفعُ الأقدارَ بالأقدار. وفي رواية ثانية عنه يقول: نَفِرُّ من القَدَر الفاضل إلى القَدَر الأفضل.

وهي كلمة حكيمة بصيرة، من لُباب الشرع والعقل جميعاً، وسَنَدُها ومَرجعُها في الكتاب والسنة المطهرة كثير، لو جُمع لجاء في رسالة حسنة، وحسبُك سَنَداً لها ما رواه البخاري في «صحيحه» ١٠ : ١٧٩ بشرح «فتح الباري»، ومسلم في «صحيحه» ١٤ : ٢٠٨ بشرح النووي، كلاهما في كتاب الطب، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

«أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خَرَج ـ من المدينة ـ إلى الشام، ـ سنة ١٧ من الهجرة أو ١٨ ـ ، حتى إذا كان بسَرْغ ـ قرية على طَرَف الشام مما يلي الحجاز ـ لَقِيَه أمراءُ الأجناد أبو عُبَيدة بنُ الجرَّاح وأصحابُه، فأخبروه أن الوَبَاء قد وقع بأرض الشام.

قال ابن عباس: فقال عُمَرُ: ادْعُ لي المهاجرين الأوَّلين، فدعوتُهم، فاستشارهم، وأخبَرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضُهم: قد خرجتَ لأمرٍ ولا نَرَى أن تَرجِعَ عنه، وقال بعضُهم: معك بقيّةُ الناس وأصحابُ رسول الله ﷺ، ولا نَرَى أن تُقدِمَهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني.

ثم قال: ادْعُ لي الأنصار، فدعوتُهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيلَ المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني.

ثم قال: ادْعُ لي من كان ها هنا من مَشْيَخة قريش من مُهاجِرةِ الفتح، فدعوتُهم، فلم يَختلِف منهم عليه رجلان، فقالوا: نَرَى أن تَرجع بالناس ولا تُقدِمَهم على هذا الوباء. فنادَى عمرُ في الناس: إني مُصْبِحٌ على ظَهْر فأَصْبِحوا عليه ـ أي إني عازمٌ على السفر صباحاً، راكبٌ على ظهرِ الراحلة إلى وطني، فأصبِحُوا عليه وتأهَّبُوا له ـ .

فقال أبو عبيدة بنُ الجراح: أفِراراً من قَدَرِ الله؟ فقال عمر: لو غيرُك قالها يا أبا عُبيدة! نعَمْ، نَفِرُّ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله[1]، أرأيتَ لو كانت لك إبلٌ، فهَبَطْتَ وادياً له عُدْوَتانِ ـ أي طَرَفانِ وحافَتَانِ ـ إحداهما خِصْبَة، والأخرى جَدْبَة، أليس إن رَعَيتَ الخِصْبَةَ رَعَيتَها بقَدَر الله، وإن رَعَيتَ الجَدْبَةَ رعيتَها بقَدَر الله.

قال: فجاء عبدُ الرحمن بن عوف، وكان متَغَيِّباً في بعض حاجته

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٠: ١٨٥ «أطلَق عليه فراراً لشَبَهِهِ في الصورة، وإن كان ليس فراراً شرعياً. والمراد أن هجوم المرء على ما يُهلكه منهيٌّ عنه، ولو فَعَل لكان من قَدَر الله، وتجنُّبه ما يؤذيه مشروع، وقد يُقدِّرُ الله وقوعَه فيما فرَّ منه، فلو فَعَله أو تركه لكان من قَدَر الله.

ومحصَّلُ قولِ عمر رضي الله عنه: (نعم، نَفِرُّ من قدر الله إلى قدر الله)، أنه أراد أنه لم يَفِرَّ من قَدَر الله حقيقةً، وذلك أن الذي فَرَّ منه: أمْرٌ خافَ على نفسه منه، فلم يَهجُم عليه، والذي فرَّ إليه: أمرٌ لا يَخافُ على نفسِهِ منه إلَّا الأمرَ الذي لا بُدَّ من وقوعه، سواء كان ظاعناً أو مقيماً».

وقال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» ١٤: ٢١٠، «وأما قولُ عمر لأبي عُبَيدة: (لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة)، فجوابُ (لو) محذوف، وفي تقديره وجهان:

أحدُهما: لو قاله غيرُك لأدَّبتُه، لاعتراضِهِ عليَّ في مسألةٍ اجتهاديةٍ وافَقَني عليها أكثرُ الناس وأهلُ الحلِّ والعقد فيها.

والثاني ـ وهو الأصح ـ لو قالها غيرُك ـ يا أبا عبيدة ـ لم أتعجَّبْ منه، وإنما أتعجَّبُ من قولك أنت ذلك! مع ما أنت عليه من العلم والفضل؟ ثم ذكَرَ له عُمرُ دليلاً واضحاً من القياس الجَلِيِّ الذي لا شك في صحته.

وليس ذلك اعتقاداً من عمر رضي الله عنه أن الرجوع يَرُدُّ المقدور، إنما معناه أن الله تعالى أَمَر بالاحتياط والحزمِ ومجانبةِ أسباب الهلاك، كما أمَرَ سبحانه بالتحصُّنِ من سلاح العَدُوِّ وتجنُّبِ المهالك، وإن كان كلُّ واقعٍ فبقضاء الله وقَدَرِه السابقِ عليه. وقاسَ عمر ـ هذه المسألة ـ على رَعْيِ العُدْوَتين: ـ الخِصبة والجَدْبة ـ لكونه واضحاً لا يُنازِعُ فيه أحَدٌ مُساواتَه لمسألةِ النزاع».

ـ لم يَحضُر معهم المشاورة ـ ، فقال: إنَّ عندي في هذا عِلماً، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتُم به ـ أي بالوباءِ والطاعون ـ بأرض فلا تَقدَمُوا عليه، وإذا وَقَع بأرضٍ وأنتم بها فلا تَخرجُوا فِراراً منه. قال: فحَمِدَ اللَّهَ عُمرُ، ثم انصرف».

ويكفي هذا الشاهدُ الناطق، والحديثُ الصادق، في دَحْر هذه الفكرة الباطلة الزائفة، وما أُقدِّرُ نشوءها إلاَّ من أعداء الإسلام، استغفلوا بها بعضَ المغفّلين، فنشأت فيهم، واستقرَّتْ في نفوسهم وسلوكهم! فأغنَتْ أعداءَهم عن تَعَبٍ ونَصَبٍ كبير في أمر الاستيلاء عليهم.

ورَحِمَ الله تعالى الإمامَ ابنَ القيم، فقد تعرَّض لهذه المسألة في كتابه «مدارج السالكين» ١ : ١٩٨، فأبان الحقَّ فيها ببيانِهِ البديع، وأزهق الباطلَ بكلامِهِ المَنِيع، فقال: «والنظرُ إلى الأقدار هو المجالُ الضَّنْك، والمعترَكُ الصعب، الذي زَلَّتْ فيه أقدام، وضَلَّتْ فيه أفهام، وافترقَتْ بالسالكين فيه الطُّرُقَات، وأشرفوا ـ إلاَّ أقلَّهم ـ على أودِيَةِ الهَلَكات.

وكيف لا وهو البحرُ الذي تجري سفينةُ راكبه في موجٍ كالجبال، والمعترَكُ الذي تضاءَلَتْ لشهودِهِ شَجَاعةُ الأبطال، وتحيَّرَتْ فيه عُقولُ أُلِبَّاءِ الرجال، ووصلَتْ الخليقةُ إلى ساحِلِه يبغون ركوبَه، فما نَجَا منهم إلاَّ الذين انتظروا مُوافاةَ سفينةِ الأَمْر ـ أي الأَخْذِ بالأسباب المشروعة ودفعوا القَدَر بالقَدَر ـ ، فركبوا سفينةَ الأمر بالقَدَر.

وراكبُ هذا البحرِ في سفينةِ الأمْر، وظيفتُه: مُصادمَةُ أمواج القَدَر، ومعارَضَتُها بعضِها ببعض، وإلاَّ هَلَك، فيَرُدُّ القَدَر بالقَدَر. وهذا سَيْرُ أربابِ العزائم من العارفين، وهو معنى قول الشيخ العارف القُدوة عبد القادر الكِيلاني: «الناسُ إذا وصلوا إلى القضاءِ والقَدَر أمسكوا، إلاَّ أنَا، فانفتَحَتْ لي فيه رَوْزَنةٌ ـ أي كُوَّةٌ ونافذة ـ فنازَعْتُ أقدارَ الحق، بالحق، للحق، والرجلُ من يكون مُنازِعاً للقدر، لا من يكون مستسلماً مع القَدَر».

ولا تتم مَصالحُ العباد في مَعاشِهم إلاَّ بدفع الأقدارِ بعضِها ببعض، فكيف في مَعادِهم؟

والله تعالى أمَرَ أن تُدفع السيئة ـ وهي من قَدَرِه ـ بالحسنة ـ وهي من قَدَرِه ـ ، وكذلك الجُوعُ من قَدَرِه، وأمَرَ بدفعِهِ بالأكل الذي هو من قَدَرِه، ولو استَسلَمَ العبدُ لِقَدَرِ الجُوع، مع قدرته على دفعِهِ بقَدَرِ الأكل، حتى مات: مات عاصياً. وكذلك البَرْدُ والحَرُّ والعطشُ، كلُّها من أقدارِه، وأمَرَ بدفعها بأقدارٍ تُضادُّها. والدافعُ والمدفوعُ والدَّفْعُ من قَدَرِه.

وقد أفصح النبي ﷺ عن هذا المعنى كلَّ الإفصاح، إذ قالوا: «يا رسول الله، أرأيتَ أدويةً نَتداوَى بها، ورُقًى نَسترقِي بها، وتُقًى نَتَّقِي بها، هل تَرُدُّ من قَدَرِ الله شيئاً؟ قال: هي من قَدَرِ الله». وفي الحديث الآخر «إنَّ الدعاءَ والبلاءَ لَيَعْتَلِجانِ بين السماءِ والأرض».

وإذا طَرَق العدوُّ من الكفار بلَدَ الإسلام طرقوه بقَدَرِ الله، أفيَجِلُّ للمسلمين الاستسلامُ للقدر، وتركُ دفعِهِ بقَدَرٍ مِثلِه، وهو الجهادُ الذي يَدفعون به قَدَرَ اللَّهِ بقَدَرِه؟

وكذلك المعصيةُ إذا قُدِّرَتْ عليك، وفَعَلْتَها بالقَدَر، فادفع مُوجِبَها بالتوبةِ النصوح، وهي من القدر.

ودَفْعُ القَدَرِ بالقدر نوعان:

أحدُهما: دَفْعُ القَدَرِ الذي قد انعقدت أسبابُه ـ ولمَّا يقع ـ بأسبابٍ أخرى من القَدَرِ تقابله، فيمتنعُ وقوعه، كدفعِ العدو بقِتالِه، ودفعِ الحرِّ والبردِ ونحوِه.

الثاني: دَفْعُ القدر الذي قد وَقَعَ واستقر بقَدَرٍ آخَرَ، يرفعُه ويُزيلُه، كدفع قَدَرِ المرض بقَدَرِ التداوي، ودفعِ قَدَرِ الذَّنْبِ بقدر التوبة، ودَفْعِ قَدَرِ الإساءة بقدر الإحسان.

فهذا شأنُ العارفين وشأنُ الأقدار، لا الاستسلامُ لها، وتَرْكُ الحركة والحيلة. فإنه عجز. والله تعالى يلوم على العجز. فإذا غُلب العبد، وضاقت به الحيل، ولم يَبق له مَجال، فهنالك الاستسلامُ للقَدَر، والانطراحُ كالميت بين يدَيْ الغاسل يقلبه كيف يشاء». انتهى. والحمد لله رب العالمين.

وختاماً نسأل الله العافية من الجهل وآثاره، ونستلهمُه سبحانه الرشادَ والسداد في جميع الشؤون، ومنها مجاهدةُ الأعداء، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

وكتبه
عبد الفتاح أبو غدة

بسم الله الرحمن الرحيم

التقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين .

أمّا بعد فانّ هذا الكتاب الذي أقدّمه كان أمنيّةً غاليةً في نفسي عزّ عليّ منالُها ، فقد سعيتُ للحصول على نسخةٍ منه من طبعته الهندية منذ أكثر من خمسة عشر عاماً فلم أحظَ به ، بحثتُ عنه في مصر بلدِ الكتب طَوالَ إقامتي بها ست سنوات ، ثم في مكتبات مكة والمدينة ثم في مكتبات بغداد وغيرها من البلدان العربية فلم أجده ، ثم رجوتُ من بعض أفاضل العلماء في الهند وباكستان أن يتفضّلوا بالسعي للحصول على نسخةٍ منه من بلدِهم المطبوعِ فيه ، فسعَوْا مشكورين غيرَ واجدين شيئاً .

ذلك لأنّ هذا الكتاب فريد في موضوعه ، نادر في إمامةِ مؤلّفه ، فلذا ماإنْ طُبِعَ في الهند بدهلي سنة ١٣٤٤ حتى تخاطفَتْه أيدي العلماء وطلاب العلم فأصبح العثورُ على نسخةٍ واحدةٍ منه أمراً عسيراً جداً .

ولمّا أتاح الله لي الرحلة إلى الهند وباكستان ، وزرتُ مكتباتها سألتُ عنه كثيراً وبحثت طويلاً على غير جدوى من لقائه ، فلمّا انتهى بي المطافُ من الهند وباكستان إلى مدينة كراتشي ، وزرتُ سماحة أستاذنا العلاّمة المحقّق البارع الجليل الشيخ محمد شفيع مؤسّس دار العلوم الإسلامية في كراتشي والمفتي الأعظم فيها حفظه الله تعالى : كان من صنائعه الكريمة إليّ أن قدّمَ لي نسختَهُ الخاصّة

من هذا الكتاب هديةً كريمة نادرة ، وكان ذلك قُبَيل سفري : يوم السبت ٧ / من جمادى الأولى سنة ١٣٨٢، ورجا متلطّفاً أن يُطبع الكتاب في بلادنا، فتلقّيتُ الهديّة شاكراً مُثْنياً مقدّراً ، ولم يُتَح لي أن أتصفّح الكتاب لزحمة استعدادي للسفر صباح الأحد الباكر ٨ / من جمادى الأولى ، فعزمتُ أن أجعله رفيقي في الطائرة إلى سورية .

ولما ذهبتُ إلى مطار كراتشي للسفر منه وجدتُ شيوخ العلم والفضل فيه خرجوا ليكرموا العاجز الضعيف بالازدياد والتَّزوُّد من لقائهم الغالي ، وقبل أن تحين ساعةُ السفر أعلنَ تأخيرُ إقلاع الطائرة عن موعدها ساعتين ، فرجوت من الأساتذة الأجلّة أن يعودوا إلى مهامّ أعمالهم ، فلم يكن منهم غيرُ الإصرار على زيادةِ فضلهم بالبقاء لوَداع العبد الضعيف حتى اللحظة الأخيرة .

فكانت فرصة سانحة كريمة ، وجلسنا في ناحية من المطار ، ومع الشيوخ الأكارم جمهرة كبيرة من صَحْبِهم ومُحبِّيهم أهلِ الدين والصلاح ووجوهِ الاسلام العامل في كراتشي ، فكانت حلقة واسعة جامعة ، جمعَتْ من العلماء الأفاضل نخبة كريمة، أتذكّرُ منها الآن : أستاذنا العلامة الجليل الكبير الشيخ محمد شفيع ، وأستاذنا العلامة الفذّ المفضال الشيخ محمد يوسف البَنُوري مؤسّس المدرسة العربية الاسلامية في كراتشي ، والأستاذ العلامة الشيخ لطف الله كبير المدرّسين في المدرسة العربية ، والأستاذ العلامة الشيخ نور أحمد الأمين العام لمدرسة دار العلوم الاسلامية الآنفة الذكر ، وكان غيرُهم من كرام أهل العلم ممن غابت عني أسماؤهم الآن !

فرغبتُ أن نملأ الوقت بالاستفادة الغالية من بُدُور العلم والفضل ، فأخرجتُ كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » هذا ، ورجوتُ من سادتنا العلماء أن أقرأ طَرَفاً من الكتاب عليهم فرحّبوا أطيبَ ترحيب ، فرجوتُ منهم أن يتكرّموا بـ « الإجازة » لي قبلَ القراءة فجادوا بها ، فقرأتُ مقدّمة مولانا الشيخ محمد شفيع كلّها وثلاثةَ أحاديث من الكتاب ، ثم تفضّلَ بالقراءة أستاذنا

بجمع الفضائل والعلوم العلامة الشيخ محمد يوسف البَنُوري حفظه الله تعالى فقرأ خمسةَ أحاديث بعدها ، وجرى خلال ذلك إفاداتٌ متنوّعة من المشايخ الفضلاء .

ولمّا قاربتْ ساعةُ الرحيل أنشدتُ حينذاك ما أنشدنيه شيخُنا آخرُ شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية العلامة شيخ الإسلام مصطفى صبري رحمه الله تعالى حين ودّعتُه مسافراً من مصر إلى بلدي :

قالتْ ومَدّتْ يداً نحوي تُودّعُني ... ولَوْعَةُ البَيْنِ تأبَى أن أمُدَّ يداً
أميّتٌ أنتَ أم حَيٌّ ؟ فقلتُ لها : ... من لم يَمُتْ يومَ بَيْنٍ لم يمت أبداً[1]

فأنشدَ شيخُنا محمد شفيع قولَه :

تذكّرَ عهداً بالحِمَى ثم مَعْهداً ... جَرَى فيه من دَوْرِ الكؤوس تسلسُلُ
بكَينا فأبكَيْنا ولا مثلَ ناقفٍ ... لحنظلةٍ في الحيِّ حينَ تحمّلُوا

وكان حالُ شيخنا البَنُوري وحالي يقول :

ويَبكي فأبكي رحمةً لبُكائه ... إذا ما بكى دَمْعاً بكَيْتُ له دما

ثم كان الوَداع والفراق ، وفي النفس العزمُ على تلبيةِ رجاء شيخنا محمد شفيع بنشر هذا الكتاب العظيم .

وقد تيسّرَ لي هذا العام ـ بفضل الله وعونه ـ تحقيقُ الكتاب وخدمتُه على وجهٍ أرجو أن تَقَرَّ به عيونُ ذوي العلم ، وتستنيرَ به قلوبُ ذوي الإيمان ، وتستبصرَ به عقولُ أصحاب العقيدة الحق والإسلام الصدق ، وأدّخرُ جزاءَ ما بذلتُ فيه من جُهد وصبر وإتقان عند الله واهب المنن والعطايا ، وأرجو ممن انتفع به أن تنالني منه دعوةٌ صالحة تُؤمّنُ الملائكةُ عليها ويُكتَبُ له مثلُها .

---

(١) هذان البيتان للشاعر الحلبي أحمد بن علي الوراق المعروف بالواصلي ، المتوفى أواخر القرن الرابع الهجري ، كما ذكرهما له في ترجمته شيخنا العلامة محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى في « إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » ٤ : ٦٤ .

سبب تأليف هذا الكتاب

ألّف الإمام الكشميري رحمه الله تعالى هـذا الكتاب للرّدّ على الفِرقة القاديانيّة الضالّة ، التي نبتَتْ في أواخر القرن المنصرم في الهند بتوجيهٍ من الإنكليز المستعمرين ، وبدَعْمِهم ورعايتِهم حتى مزّقتْ جزءاً كبيراً من جسم الإسلام ، وضلّلتْ غير قليل من أبناء المسلمين ، فنهض العلماء من كلّ حَدَبٍ وصوب يَقمعون أباطيلَها . ويكشفون دسائسَها ، ويُعرّفون الناس بحال داعيها ودجّالها المتنبّىء المَغُولي القادياني .

فألّفوا في ذلك تآليف كثيرةً جداً زادت على ستين تأليفاً ، أشرتُ إلى بعضها تعليقاً في ص ٤٩ - ٥٣ و ٥٦ - ٥٧ . وكان صاحبُ القِدحِ المعلّى في ذلك المضمار لا يُجارَى فيه ولا يُبارَى : الإمامَ الكشميريّ مؤلّفَ هـذا الكتاب رحمه الله تعالى ، فقد ألّفَ في الردّ على القاديانيّة خمسة كتب، منها الكبير والمتوسّط ، وكتابُ « التصريح » هذا من أصغرها .

وقـد لَقِيَتْ كتبُ الإمام الكشميري رواجاً منقطعَ النظير ، وحازتْ ثناءَ العلماء وتقديرَهم العظيم في مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك لمـا امتازت به من واسع العلم ، وعميق التدقيق ، وبالغ الحُجَج والبراهين التي تمسَحُ الباطلَ والشبهاتِ مسحاً فلا تُبقي ولا تَذَر ، مع ما يلبسه قارئها من فيض الإخلاصِ والتواضعِ فيها .

وقد أثنى عليه عالِمُ الرجال ونَقّادُهم وعارِفُ أقدارِ ذوي القَدْرِ فيهم شيخُنا الإمام محمـد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في « المقالات » ص ٣٥٩ ثناءَ ذوي الفضل على أهل الفضل فقال : « أعلى الله سبحانه منزلةَ العلامة فقيد الإسلام المحدّث المِحْجَاج الشيخ محمد الأنور الكشميري في غُرَف الجنـان ، وكافأه مكافأة الذّابّين عن حريم دين الإسلام ، فانه قمَعَ القاديانيّة بحُجَجه الدامغة ، وحالَ دون استفحالِ شرّ معتديهم ومتطرّفيهم في الهند بتأليف كتب

ممتعة في الرّد عليهم بلغاتٍ شتّى ، وحقّقَ في كتابه « إكفار الملحدين » أمْرَ إكفارِ هؤلاء وأمثالِهم » . انتهى .

وقد خَصّ شيخُنا الكوثري رحمه الله تعالى ، بيانَ كفرِ القاديانيّة ومُرُوقِها بمقالٍ خاصٍّ في كتابه « المقالات » ص ٣٥٧ - ٣٥٩ ، ونقَلَ فيه نصوصَ كلماتِ القادياني الكافر الضّال ، ليقف عليها قُرّاءُ العربية في أقطارها ، فيعلموا ضلالَ هذه النّحلة وضلالَ أصحابها ، فلا يُخدعوا بتُرّهاتِهم وأباطيلهم ، جزاه الله خيراً عن الإسلام .

عملي في الكتاب وأهمية الكتاب

هذا ، وقد ألّف الإمام الكشميري هذا الكتاب « التصريح » للخاصّةِ من العلماء الباحثين ليكون بيدهم سيفاً باتراً للقاديانيّة وضلالاتها ، فلذلك اقتصر فيه على إيراد النصوص الحديثيّة دون شرحٍ أو تعليق عليها ، ولمّا عزمتُ على نشرِه وإذاعته للناس رغبتُ أن يكون كتاباً للخاصّةِ والعامّةِ معاً ، فعلّقتُ عليه تعليقاتٍ ضافيةً حيناً وموجزةً حيناً آخر ، أوضحتُ فيها النّصّ الذي يقتضي الإيضاح ، أو تتطلّعُ نَفْسُ قارئه إلى المزيد من معرفته والتثبّت من حقيقةِ معناه ومدلوله ، وعدّلتُ بعض عباراتٍ في المقدمة وغيرها بأمر كاتبها شيخنا محمد شفيع حفظه الله تعالى .

وجلّيتُ كلَّ ذلك بعبارة سهلة مفتوحة ، رغبةً في تيسير الاستفادة منه للعامّة ، وحرصاً على تمتين عقيدة الإيمان باليوم الآخر ، وتبصيراً بما يكون قبلَ ذلك اليوم من حقائق وخوارق وحوادث وأهوال ، فانه مما يلاحظ أنّ قراءة أخبار الساعة واليوم الآخر ومايكون قبله لها الأثر الكبير البالغ في تصحيح سلوك الناس وتحسين أعمالهم ، كما أنّ بُعْدَ الناس عن قراءتها ومعرفتها يتسبّبُ عنه سوءُ العمل ، ويُنسي على طول الزمن تلك الحقائقَ من الأذهان ، ويقلّصُها في النفوس ، حتى قد يقعُ الاستبعادُ لها والاستخفافُ بها ، أو الانكار لوقوعها ممن لا علم عندهم .

ولذلك كان السَّلَفُ الصالحون يداومون على تعليم تلك الأخبار والأحاديث، ويَذْكرونها للناس حتى للأولادِ في الكُتَّاب ـ المدرسة ـ ليتوارثوا معرفتَها بعلمٍ وبصيرة ، ولتكون لهم بها عقيدةٌ راسخة أصيلة ، تزيد متانةً على مرور الأيام . وقد كان الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه يَلقى الفتى الشابَّ فيقول له : يا ابنَ أخي إنك عسى أن تلقى عيسى ابنَ مريم فاقرأْهُ مني السَّلام . تحقيقاً لنزوله عليه السلام .

وروى مسلم في « صحيحه » ٥ : ٨٨ « عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ كان يُعلِّمُهم هذا الدُّعاءَ كما يُعلِّمُهم السُّورةَ من القرآن ، يقول : قولوا : « اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من عذاب جهنَّم ، وأعوذُ بك من عذاب القبر ، وأعوذُ بك من فتنةِ المَسيح الدجَّال*، وأعوذُ بك من فتنةِ المَحْيَا والمَمَات » . قال مسلم بن الحجَّاج : بلَغني أنَّ طاوساً ـ وهو راوي هذا الحديث عن ابن عباس ـ قال لابنه : أدعوتَ بها في صلاتك ؟ فقال : لا ، قال : أعِدْ صلاتك » . انتهى .

وإنما أمَرَ طاوسٌ ابنَهُ بإعادة الصلاة لأنه كان يَرى وجوبَ الدعاء في الصلاة بهذه الدعوات الأربع ، ويَرى أنَّ المصلِّي إذا أخلَّ بها بطلَتْ صلاتُه ، وذلك لما فَهِمَه من وجوبها من اهتمام النبي ﷺ بتعليمها للصحابة كما كان يُعلِّمهم السورةَ من القرآن ، وأمرِه لهم بالدعاء بها في صلواتهم . وقد رَوَى مسلم في « صحيحه » أيضاً ٥ : ٨٧ عن عائشة أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة بهذا الدعاء . ورَوَى أيضاً عن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال : « إذا تشهَّدَ أحدُكم فليَستعِذْ بالله من أربع ، يقول : اللهمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنَّم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنةِ المَحْيَا والممات ، ومن شَرِّ فتنةِ المَسيح الدجَّال » .

وما هذا الاهتمامُ العظيم من النبي ﷺ بهذا الدعاء عملاً وأمراً وتعليماً إلا لما حواه من التعوُّذ من عظائم الأمور والأهوال الكائنة الحقَّ ولا ريب ، ولهذا جزم الإمام ابن حزم الظاهري بفرضيَّة قراءة هذا التعوُّذ بعد الفراغ من